ارساها اي اثباتها واقرارها وكل شيء ثقيل رسوه ثباته واستقراره ومنه رسا الجبل وارسى السفينة والمرسى المكان
الذي ترسي فيه ولا اثقل من الساعة بدليل قوله ثقلت في السموات والارض والمعنى متى يرسيها الله انما علمها اي علم وقت
ارسائها عند ربي استأثر به لم يخبر به احدا من ملك مقرب ولا نبي مرسل يكاد يخفيها من نفسه ليكون ذلك ادعى الى الطاعة
وازجر عن المعصية كما اخفى الاجل الخاص وهو وقت الموت لذلك لا يجليها لوقتها الا هو اي لا تزال خفية لا يظهر امرها
ولا يكشف خفاء علمها الا هو وحده واذا جاء بها في وقتها بغتة لا يجليها بالخبر عنها قبل مجيئها احد من خلقه لاستمرار
الخفاء بها على غيره الى وقت وقوعها ثقلت في السموات والارض اي كل من اهلها من الملائكة والثقلين اهمه شان
الساعة ويوده ان يتجلى له علمها وشق عليه خفاؤها وثقل عليه او ثقلت فيها لان اهلها يتوقعونها ويخافون شدائدها
واهوالها او لان كل شيء لا يطيقها ولا يقوم لها فهي ثقيلة فيها لا تاتيكم الا بغتة الا فجاءة على غفلة منكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم
ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه
ويرفعه كانك حفي عنها كانك عالم بها وحقيقته كانك بليغ في السؤال عنها لان من بالغ في المسألة عن الشيء والسعي
عنه استحكم علمه فيه ورصن وهذا التركيب معناه المبالغة ومنه احفاء الشارب واحتفاء البقل استئصاله والاحفاء
في المسألة اذا الحف وحفي بفلان وتحفى به بالغ في البر به وعن مجاهد استحفيت عنها السؤال حتى علمت وقرا ابن
مسعود كانك حفي بها اي عالم بها بليغ في العلم بها وقيل عنها متعلق بيسألونك اي يسألونك عنها كانك حفي اي عالم بها
وقيل ان قريشا قالوا له ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة فقيل يسألونك عنها كانك حفي تتحفى
بهم فتخصهم بتعليم وقتها لاجل القرابة وتزوي علمها عن غيرهم ولو اخبرت بوقتها لمصلحة عرفها الله في اخبارك به
لكنت مبلغه القريب والبعيد من غير تخصيص كسائر ما اوحي اليك وقيل كانك حفي عنها بالسؤال عنها تحبه
وتؤثره يعني انك تكره السؤال عنها لانها من علم الغيب الذي استأثر الله به ولم يؤته احدا من خلقه فان قلت لم كرر
يسألونك وانما علمها عند الله قلت للتاكيد ولما جاء به من زيادة قوله كانك حفي عنها وعلى هذا تكرير العلماء الحذاق
في كتبهم لا يخلون المكرر من فائدة زائدة منهم محمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة رحمهما الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون
انه العالم بها وانه المختص بالعلم بها قل لا املك هو اظهار للعبودية والانتفاء عما يختص بالربوبية من علم الغيب اي انا
عبد ضعيف لا املك لنفسي اجتلاب نفع ولا دفع ضر كالمماليك والعبيد الا ما شاء ربي ومالكي من النفع لي والدفع
عني ولو كنت اعلم الغيب لكانت حالي على خلاف ما هي عليه من استكثار الخير واستغزار المنافع واجتناب السوء
والمضار حتى لا يمسني شيء منها ولم اكن غالبا مرة ومغلوبا اخرى في الحروب ورابحا وخاسرا في التجارات ومصيبا ومخطئا
في التدبيرات ان انا الا عبد ارسلت نذيرا وبشيرا وما من شاني اني اعلم الغيب لقوم يؤمنون يجوز ان يتعلق
بالنذير والبشير جميعا لان النذارة والبشارة انما ينفعان فيهم او يتعلق بالبشير وحده ويكون المتعلق بالنذير
محذوفا اي الا نذير للكافرين وبشير لقوم يؤمنون من نفس واحدة وهي نفس آدم جعل منها زوجها وهي حواء خلقها من
جسد آدم من ضلع من اضلاعه او من جنسها كقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا ليسكن اليها ليطمئن اليها ويميل ولا
ينفر لان الجنس الى الجنس اميل وبه آنس واذا كانت بعضا منه كان السكون والمحبة ابلغ كما يسكن الانسان الى ولده ويحبه
محبة نفسه لكونه بضعة منه وقال ليسكن فذكر بعدما انث في قوله واحدة منها زوجها ذهابا الى معنى النفس ليبين
ان المراد بها آدم ولان الذكر هو الذي يسكن الى الانثى ويتغشاها فكان التذكير احسن طباقا للمعنى والتغشي كناية عن
الجماع وكذلك الغشيان والاتيان حملت حملا خفيفا خف عليها ولم تلق منه ما يلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب
والاذى ولم تستثقله كما يستثقلنه وقد تسمع بعضهن يقول في ولدها ما كان اخفه على كبدي حين حملته فمرت به فمضت
به الى وقت ميلاده من غير اخداج ولا ازلاق وقيل حملت حملا خفيفا يعني النطفة فمرت به فقامت به وقعدت

وقرا

وقرا ابن عباس فاستمرت به وقرا يحيى بن يعمر فمرت به بالتخفيف وقرا غيره فمارت به من المرية كقوله افتمرونه وافتمارونه
ومعناه فوقع في نفسها ظن الحمل وارتابت به فلما اثقلت حان وقت ثقل حملها كقولك اقربت وقرئ اثقلت على البناء
للمفعول اي اثقلها حملها دعوا الله ربهما دعا آدم وحواء ربهما ومالك امرهما الذي هو الحقيق بان يدعى ويلتجأ اليه فقالا لئن
آتيتنا لئن وهبت لنا صالحا ولدا سويا قد صلح بدنه وبرئ وقيل ولدا ذكرا لان الذكورة من الصلاح والجودة والضمير
في آتيتنا لنكونن لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما فلما آتاهما ما طلباه من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء اي جعل
اولادهما له شركاء على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وكذلك فيما آتاهما اي آتى اولادهما وقد دل على ذلك بقوله
فتعالى الله عما يشركون حيث جمع الضمير وآدم وحواء بريئان من الشرك ومعنى اشراكهم فيما آتاهم الله تسميتهم اولادهم
بعبد العزى وعبد مناف وعبد شمس وما اشبه ذلك مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم ووجه آخر وهو ان يكون
الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم آل قصي الا ترى الى قوله في قصة ام معبد فيا لقصي ما زوى الله عنكم
به من فعال لا يجارى وسودد ويراد هو الذي خلقكم من نفس قصي وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن اليها فلما
آتاهما ما طلبا من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء فيما آتاهما حيث سميا اولادهما الاربعة بعبد مناف
وعبد العزى وعبد قصي وعبد الدار وجعل الضمير في يشركون لهما ولاعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك وهذا تفسير
حسن لا اشكال فيه وقرئ شركا اي ذوي شرك وهم الشركاء واحدثا لله اشراكا في الولد اجرى للاصنام مجرى اولي
العلم في قوله وهم يخلقون بناء على اعتقادهم فيها وتسميتهم اياها آلهة والمعنى ايشركون ما لا يقدر على خلق شيء كما يخلق
الله وهم يخلقون لان الله خالقهم او لا يقدر على اختلاق شيء لانه جماد وهم يخلقون لان عبدتهم يختلقونهم فهم اعجز
من عبدتهم ولا يستطيعون لهم لعبدتهم نصرا ولا انفسهم ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها من الحوادث بل عبدتهم
هم الذين يدفعون عنهم ويحامون عليهم وان تدعوهم وان تدعوا هذه الاصنام الى الهدى اي الى ما هو هدى ورشاد او
الى ان يهدوكم والمعنى وان تطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير والهدى لا يتبعوكم الى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم
الله ويدل عليه قوله فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون
ام صمتم عن دعائهم في انه لا فلاح معهم فان قلت هلا قيل ام صمتم ولم وضعت الجملة الاسمية موضع الفعلية قلت
لانهم كانوا اذا حزبهم امر دعوا الله دون اصنامهم كقوله واذا مس الناس ضر وكانت حالهم المستمرة ان يكونوا
صامتين عن دعوتهم فقيل ان دعوتموهم لم تفترق الحال بين احداثكم دعاءهم وبين ما انتم عليه من عادة صمتكم عن
دعائهم ان الذين تدعون من دون الله اي تعبدونهم وتسمونهم آلهة من دون الله عباد امثالكم وقوله عباد امثالكم
استهزاء بهم اي قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء فان ثبت ذلك فهم عباد امثالكم لا تفاضل بينكم ثم ابطل
ان يكونوا عبادا امثالهم فقال الهم ارجل يمشون بها وقيل عباد امثالكم مملوكون امثالكم وقرا سعيد بن جبير
ان الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم بتخفيف ان ونصب عبادا امثالكم والمعنى ما الذين تدعون من دون الله
عبادا امثالكم على اعمال ان النافية عمل ما الحجازية قل ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم في عداوتي ثم كيدون جميعا
انتم وشركاؤكم فلا تنظرون فاني لا ابالي بكم وكانوا قد خوفوه آلهتهم فامر ان يخاطبهم
بذلك كما قال قوم هود ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء فقال اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا
ثم لا تنظرون ان وليي الله ان ناصري عليكم الله الذي نزل الكتاب الذي اوحى الي كتابه واعزني برسالته وهو يتولى الصالحين
ومن عادته ان ينصر الصالحين من عباده وانبياءه ولا يخذلهم ينظرون اليك يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا اصنامهم
بصورة من قلب حدقته الى الشيء ينظر اليه وهم لا يبصرون وهم لا يدركون المرئي العفو ضد الجهد اي خذ ما عفا لك
من افعال الناس واخلاقهم وما اتى منهم وتسهل من غير كلفة ولا تداقهم ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفروا

Copyright © King Saud University